دراسات إفريقية

مركز البحوث والترجمة

مجلة بحوث نصف سنوية

في هذا العدد:

العدد الرابع عشر   يناير ١٩٩٦م   رمضان ١٤١٦هـ

نبذة عن المجلة

دراسات إفريقية مجلة متخصصة تعنى بالدراسات الإفريقية في مختلف العلوم الإنسانية غير أنها تولي عناية خاصة لواقع الإسلام والمسلمين في الأقطار الإفريقية غير العربية وهي تعمل على تشجيع البحوث في القضايا المتصلة بالمجالات الآتية على وجه الخصوص:

١ - التعليم الإسلامي في إفريقيا.

٢ - اللغة العربية في إفريقيا.

٣ - انتشار الإسلام في إفريقيا.

٤ - الدعوة الإسلامية ونشاط الكنائس المسيحية في إفريقيا.

٥ - الخلفية التاريخية للمجتمعات الإفريقية المسلمة وأثرها في ممارسات المسلمين في إفريقيا.

٦ - العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين إفريقيا وبقية العالم الإسلامي.

٧ - التعريف بالمؤسسات العلمية التي تعمل في حقل الدراسات الإفريقية.

تصدر المجلة مرتين في العام. واللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة وتنشر بعض البحوث المكتوبة بالإنجليزية والفرنسية.

تنشر البحوث المجازة من قبل محكمين مختصين ويمنح أصحاب البحوث المجازة حوافز إكرامية تقديراً لجهود كاتبيها ويعطي مؤلف البحث المنشور عشرين نسخة من مقاله.

تنشر المجلة مراجعات الكتب الصادرة حديثاً في عالم الدراسات الإفريقية وتستعرض الرسائل الجامعية بالإضافة للأعمال التوثيقية كالببليوغرافيا.

يرجى من المؤلف أن يذكر نبذة تعريفية عن مؤلفاته وأبحاثه وعمله الحالي وعنوانه ويرفق خطاباً يوضح أن بحثه لم ينشر من قبل في أية مجلة أو كتاب سواء أكان كاملاً أم بشكل مختصر ويتعهد بعدم تقديمه إلى أية جهة أخرى قبل أن تصدر المجلة قراراً بشأنه دون جهة أخرى تعمل هيئة التحرير على إصدار قرار في خصوص البحث في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ تسلمه.

لاتلتزم المجلة بإرجاع البحوث التي لاتنشر إلى أصحابها.

تتراوح البحوث التي تنشر بالمجلة بين (٣٠٠٠ - ٥٠٠٠) كلمة ويرسل البحث مطبوعاً من نسختين. تكون الطباعة واضحة وعلى صفحة واحدة وتترك مسافات مزدوجة بين السطور كما يترك هامش على الجهة اليمنى بمقدار بوصة وربع البوصة ونفس المسافة على الجهة اليسرى في حالة البحوث المكتوبة بالحروف اللاتينية. تطبع الحواشي والمصادر على ورقة منفصلة في نهاية البحث ويشار إليها في صلب البحث بأرقام متسلسلة بين قوسين. تطبع الخرائط والبيانات والجداول في صفحات منفصلة بحيث لاتتجاوز أبعادها حجم الصفحة.

د. عبد الرحمن أحمد عثمان

رئيس التحرير

دراســـات إفـريقيــة

مجلة دراسات نصف سنوية يصدرها مركز البحوث والترجمة
بجامعة إفريقيا العالمية
ص. ب : ٢٤٦٩ الخرطوم - السودان

المقالات والبحوث المنشورة تعبر عن اراء كاتبيها ولاتعبر بالضرورة
عن أراء تتبناها هيئة التحرير أو جامعة إفريقيا العالمية

الطابعون :
دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة

المشرف العام

البروفسير / عبد الرحيم علي محمد

رئيس هيئة التحرير

الدكتور / حسن مكي محمد أحمد

رئيس التحرير

الدكتور / عبد الرحمن احمد عثمان

سكرتير التحرير

الأستاذ / الناصر عبد الله ابو كروق

أعضاء هيئة التحرير

الأستاذ / الطيب ابشر الطيب

الأستاذ / وداعة محمد الحسن مكوه

الأستاذ / حسن سيد أحمد الناطق

الأستاذ / تاج السر بشير

الأستاذ / يس محمد الحسن الحبوب

مستشارون

البروفسير / يوسف فضل حسن

البروفسير / عبد الله الطيب المجذوب

البروفسير / عثمان سيد احمد اسماعيل

البروفسير / سيد حامد حريز

البروفسير / مدثر عبد الرحيم الطيب

الدكتور / احمد خالد بابكر

الدكتور / الامين ابو منقه

الدكتور / عبد اللطيف محمد البوني

كلمة افتتاحية

القارئ الكريم ، بين يديك مرة أخرى مجلتك - دراسات إفريقية - في عددها الرابع عشر وهو كما ترى حافل بشتى الموضوعات ذات الطابع العلمي الموثق احتوت على صنوف من المعرفة الانسانية يحتاجها الباحث والدارس والقارئ المتخصص وغير المتخصص صاغتها أقلام مدربة ولها باع طويل في كتابة البحوث العلمية الجادة المفيدة والمعتمدة على المعرفة اليقينية بموضوع البحث الذي يتناوله كل في ميدانه .

في هذا العدد ، كالاعداد السابقة ، حافظنا فيه بقدر المستطاع على كتابنا العلماء كما افسحنا المجال لاقلام جديدة سعيا وراء التنوع المفيد واستقطابا لميادين جديدة من المعرفة .

نطالع مرة أخرى الدارسة العلمية الجادة حول موضوع حوار الاسلام مع الغرب (باللغة الانجليزية) ولعله الآن يبلغ غايته في ايجاد آلية عملية وميسرة لذلك الحوار المنشود وهنالك دراسات أخرى تناولت تأصيل الثقافة الاسلامية في شرق إفريقيا وامتدادها حتى حوض الكنغو وتناولت القبيلة في منظورها الإسلامي وبحثت في مصادر مدرسة السيد أحمد بن إدريس ذلك العالم الصوفي الجليل الذي أحدث ولايزال يحدث أثرا ملحوظا في العالم الاسلامي ثم تناولت كذلك بحثا عن النوبة في التاريخ ولكن لعل مما تميز به هذا العدد بحثان مميزان في ميدان اللغة كما إن بالعدد مراجعتان لبحثين أحدهما لعالم نرويجي وآخر لأحد طلاب الدراسات الافريقية العليا بمركز البحوث والترجمة بجامعة إفريقيا العالمية .

نأمل أن يجد القراء علماء متخصصين أو غيرهم ما يفيد ويرضي ونناشد قرائنا الفضلاء اسداء النصح والتوجيه والنقد البناء حتى ترتقي مجلتكم العزيزة عددا بعد عدد في نشر ألوية العلم والمعرفة فكل عمل بشرى غير معصوم من الخطأ فلا كامل إلا وجه الله .

أخيرا يسعد هيئة التحرير أن تزجي التقدير والثناء والعرفان لكل المساهمين في هذا العدد من العلماء والباحثين وعلى الله قصد السبيل ونسأله الرشد والتوفيق .

هيئة التحرير

الدور العمـــانى فى تقوية وتاصيل الاسلام في شرق إفريقـــيا

د. عبد الرحمن أحمد عثمان *

يعتبر الأتراك العثمانيون من أكثر الشعوب الإسلامية عطاء وإسهاما فى تفعيل حركة إنتشار الإسلام وعرضه على شعوب مساحات واسعة من آسيا وأوربا وفى ذات الوقت يقدر المؤرخون أن الشعب العمانى من أكثر الشعوب العربية إسهاما فى اتساع رقعة الإسلام فى المنطقة حول المحيط الهندى فى الهند وأندونيسيا وماليزيا تلك المنطقة التى يطلق عليها الجغرافيون دول جنوب شرق آسيا . أما الدور الرئيسي الذى لعبه العمانيون فى خدمة الإسلام فقد كان فى مجال نشره وتقويته وتأصيله فى منطقه شرق إفريقيا السواحيلية .

يهدف هذا المقال لإبراز الدور العمانى فى نشر وتأصيل الثقافتين العربية والإسلامية على طول الساحل الشرقى لإفريقيا من مقديشو إلي سوفالا بالإضافة إلى المناطق الداخلية حول منطقة خط تقسيم المياه في وسط القارة من خلال تتبع هجرات العمانيين الحديثة فى الفترة التى اعقبت ظهور الإسلام وشهدت نشأة الثقافة السواحيلية لغة ودينا ودورة حياة الإنسان والمجتمع الى مرحلة تكريس ذلك الدور بانتقال العاصمة العمانية إلى زنجبار فى خطوة غير مسبوقة فى تأريخ العلاقات العربية الإفريقية .

لقد كانت شرق إفريقيا أول منطقة تصل إليها هجرات المسلمين وافدة من الجزيرة العربية لذا لم يكن مستغربا أن ينتشر فيها الإسلام مبكرا . ولا شك أن هناك العديد من العوامل التى يسرت الاتصال بين جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقيا من بينها

* رئيس إدارة البحوث والنشر بمركز البحوث والترجمة جامعة إفريقيا العالمية .

تلك الرياح الموسمية التى ساعدت السفن العربية فى الاتجاه للساحل الشرقى وفى اتجاه الشمال الشرقى حاملة نفس السفن لجنوب الجزيرة العربية وبين الميقاتين يبقى التجار العرب ثلاثة أشهر بين السكان هناك مما أتاح لهم فرصة التصاهر والاختلاط والتجانس وقد هيأ ذلك فرص التأثير فى المعطيات الثقافية فى مجال الدين واللغة والتشكيلة السكانية .

شكل ظهور الإسلام مستجدات أضافت الى العوامل الجغرافية قوة فى إحكام الصلة بين المنطقتين العربية والإفريقية . فقد نتج عن ظهور الإسلام خلافات سياسية ترتبت عليها هجرات سياسية أشبه ما تكون بظاهرة اللجوء المعاصرة كانت أول تلك الهجرات للحبشة بقيادة جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه "٢" فارة من الاضطهاد الدينى والتعذيب والعزل الاجتماعى والسياسى الذى مارسه قادة المجتمع القرشي . أصبحت هذه الهجرات سنة للمسلمين فى نزاعاتهم السياسية التى تلت أحداث الفتنة الكبرى فعندما قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه انقسم المسلمون بين مؤيد لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ومناصر لمعاوية بن أبى سفيان ، ودفع هذا الانقسام الطرف الخاسر (الخوارج والشيعة) للهجرة خارج نفوذ الأمويين المنتصرين "٣".

استقبل الساحل الشرقى الذى يطل على المحيط الهندى عددا من هذه الهجرات ابتداء من القرن السابع الميلادى "٤" عندما هاجر إليه الجلنديون سنة ٦٩٥م. ويروى لنا ابن الأثير أنه عندما فرغ الأمويون من القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير فكروا فى السيطرة على عمان ودخلوا مع ابنى عباد بن عبد الله بن عبد الجلندى (سليمان وسعيد) فى حرب ضروس واستعانوا عليهما بقبيلة نزار المنافسة لقبيلة الأزد العمانية التى ينتمى إليها الجلنديون فدارت رحى الحرب على الجلنديين فحملا ذراريهما ومن معهم من قومهم ولحقا ببلاد الزنج "٥"

والقراءة المتأنية لهذه الهجرات توضح أنها على الرغم من عدم استقرارها فى ساحل تنزانيا المعاصرة إلا أنها أثرت فى الهجرات التى تلتها إذ أنها فتحت لها حدود

الإمكان وأجبرت المخالفين لها في المذهب الأباضي على الاتجاه صوب الساحل الأزاني"٦" .

وتعتبر هجرة الجلنديين إحدى نتائج النزاع الأموي الخارجي إذ ينتمي الجلنديون للخوارج الأباضية من أتباع عبد الله بن إباض التميمي أحد تلاميذ جابر بن زيد الخارجي ٩٣هـ أما الطرف الثاني الخاسر في حروب الفتنة الكبرى فهم الشيعة الذين تشير الروايات الشفهية المحلية التي تستند على بعض المخطوطات التاريخية "٧" الى هجرة الزيديين منهم (أتباع زيد بن علي حفيد الحسين بن علي ابن أبي طالب) إلى زنجبار ويستدل المؤرخون على وجاهة هذه الرواية بأن طائفة من العرب كانت تعرف بالاموزيديج وهو تحريف سواحلي لكلمة الزيدية (٨) ويؤرخ وصول هذه المجموعة بعام ١٢٢هـ (٧٣٩م) إثر انقسام وقع بين صفوف الشيعة نتيجة لما لاقاه الزيديون من اضطهاد على أيدي الأمويين بعد استشهاد أميرهم زيد وهزيمة أتباعه وفرارهم إلى جنوب الجزيرة العربية (٩) وظل الزيديون يسيطرون على ساحل شرق إفريقيا حتى أتتهم في ٢٧٤هـ (٨٨٧م) جماعة عربية سنية وفيرة العدد أصلها من منطقة الأحساء في منطقة الخليج العربي خرجت في ثلاث سفن بقيادة سبعة إخوة فرارا من استبداد حاكم الأحساء واستقرت في المنطقة حول مقديشو وسيطروا على الساحل جنوبا حتى ممبسا وفر الزيديون أمامهم في اتجاه الجنوب والداخل ويرجع بعض المؤرخين أن جماعة الأحساء السنية كانت من قبيلة الحارث العربية التي استقرت في زنجبار في ٣١٢هـ (٩٢٤م) "١٠" بينما يرجح أن هؤلاء الإخوة السبعة هجروا الدولة القرمطية واستقروا بمقديشو (٣٥١هـ) "١١" .

وتعتبر هجرة الشيرازيين أكبر الهجرات أثرا على الساحل وينسب إليها عهد تأسيس سلطنة الزنج الإسلامية ويمكن تلخيص الروايات التي تحمل هذه الهجرة أنه في حوالي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي (١٠٥٠) رأى أمير شيراز في نومه رؤيا أفزعته ويدعى هذا الأمير الحسن بن علي وقد تحققت رؤياه عندما ظهر السلاجقة بقيادة طغرل بك السلجوقي الذي إستولى على فارس ففر الشيعة الشيرازيون

في وجهه واستقر بهم المقام على مدن مختلفة على طول الساحل الشرقي لإفريقيا من بينها كلوة "١٢" . إلا أن كلوة قد أستأثرت بمقام زعيم المجموعة ونشأت في أثر ذلك بكلوة مملكة ذات تاريخ عريق عرفها التاريخ باسم سلطنة الزنج الاسلامية ، ويروي لنا صاحب السلوة في أخبار كلوة هذه الرواية قائلا :- " كلوة الذي نزل بها حسن بن على الشيرازي ووجد أن أميرها الزنجي (الكافر) في رحلة صيد ، قد علم ذلك من مسلم يدعى منبري توسط له عند سيدها فباعها له بأطوالها من القماش الملون تكفى للإحاطة بها "١٣" ويضيف صاحب الكتاب أن المسلم " منبرى" قد حذر الامير الشيرازى من غيلة الزنوج فان صاحب كلوة ربما عاد إليه مرة أخرى فقتله وأخذ ما معه ، فانتهز الأمير حسن بن على فترة الجزر في المحيط فحفر بين البر والجزيرة برزخا فلما أراد حاكمها الزنجي الرجوع والغدر انتظر انحسار الماء ولكن دون فائدة وانتظر حتى يئس ورجع .

وهذا هو ملخص الرواية التي يدور حولها أغلب المؤرخين ولم يختلف معهم سوى قرى "Gray" الذي يورد لنا في كتابه تاريخ زنجبار أن قصة بناء المدن الساحلية في شرق إفريقيا كان متعمداً وتحت إشراف الخلفاء المسلمين في العاصمة بغداد ، بدأها عبد الملك بن مروان وتم بناء مدينة كلوة على عهد الخليفة العباسي المشهور هارون الرشيد الذي أرسل إليها مجموعة من الفرس "١٤" .

وعلى الرغم من أن رواية قرى " Gray " تعطى مدلولات جديدة لتاريخ الساحل فإنها بعيدة من سياق الحدث والايقاع المنطقي الذي انطلقت منه الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا والتي تنتظمها ظاهرة اللجوء السياسي وذلك أمر يتعارض في الأساس مع مبدأ التهجير الجماعي .

وتدعم هجرة النبهانيين آخر الهجرات العربية والإسلامية قبل الفاصل البرتغالي إلى شرق إفريقيا تفسير الأحداث على ضوء ظاهرة اللجوء السياسي وليس التهجير المنظم فقد هاجر سليمان بن سليمان بن المظفر النبهاني على رأس مجموعة من النبهانيين في (٦٠١هـ / ١٢٠٤م) فرارا وتزوج من ابنة السلطان إسحاق حاكم جزيرة

"بيت - Pate) وتأسس حكم الأسرة النبهانية بها إثر تنازل الحاكم الشرعي لصهره عن الحكم على غرار التقاليد الإفريقية التي تورث الملك لأبناء البنات "١٥" .

أثرت هذه الهجرات المتلاحقة في تاريخ ساحل شرق إفريقيا فبالإضافة لما سبقت الإشارة إليه من تجانس عرقي نجم عن المصاهرة ونتج عنه جيل يحمل السمات البانتوية والعربية فقد كان لهذه الهجرات أثر عميق في التراث الثقافي للساحل لاسيما في مجالي اللغة والدين ونشأت نتيجة لذلك العديد من المدن الساحلية التي كونت في التاريخ ما يعرف مصطلحا بدولة المدينة ابتداء من مقديشو في الشمال إلى سوفالا في الجنوب . وكانت أشهر تلك المدن في منطقة تنزانيا وأولها نشأة هي مدينة كلوة في الخليج الواقع جنوب تنزانيا المعاصرة. أستطاعت كلوة النمو وأخذت القفاز من مقديشو عندما قطعت الطريق بينها وبين الجنوب حيث ذهب سوفالا فمنذ عهد السلطان داود بن سليمان أشهر حكامها استطاع الفرس الشيرازيون السيطرة على طول الساحل الإفريقي الشرقي من مقديشو إلى سوفالا وأسسوا سلطنة كلوة المسماة " بالزنج الإسلامية " وصفها ابن بطوطة مظهرا عظمتها قائلا :

" وركبنا البحر إلى مدينة كلوة وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها من الزنوج المستحكمي السواد ولهم شرطات في وجوههم ، ومدينة كلوة من أشهر المدن واتقنها عمارة وكلها بالخشب والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب "١٦" .

تحفل عبارات ابن بطوطة المقتضبة هذه بالعديد من المعاني والمدلولات الثقافية فعلى الرغم من أن مؤسس سلطنة «كلوة» هم الشيعة الشيرازيون فإن ابن بطوطة يذكر أن السكان شافعية المذهب كما يذكر صاحب كتاب كشف الغمة أن من علماء الأباضية الوليد بن سليمان بن مبارك الكلوي الأباضي من بلد الزنوج في زمن عادي بن يزيد البهلوي "١٧" .

ويدل ذلك على الحرية الفكرية التي كانت تحظى بها كلوة فالناس بها ليسوا دائما على دين ملوكهم وهنا أمر اشتهرت به مدن الساحل فهذه زنجبار دانت لإباضية عمان

اليعربيين والبوسعيديين طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولكنها حفلت بالطرق الصوفية وغالب أهلها من أهل السنة ذلك يدل من جانب آخر على سماحة الحكام في هذه الأجزاء من شرق إفريقيا فها هو ذا السلطان سعيد بن سلطان المتوفى ١٨٥٦م يكتب لسلاطين كلوة كتابه المؤرخ في ١٣ شوال ١٢٦٢هـ قائلا :

من سعيد بن سلطان إلى جناب أحبابنا الكرام العزاز كافة سلاطين كلوة .
سلمكم الله تعالى إن شاء الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
وبعد من طرف أهل نجاد وسلاطينهم ، مالكم تعرض فيهم يجوزون بأنفسهم وحالهم وحال أنفسهم ، قائمين بذاتهم وكل من يتعدى منهم على صاحبه ، فمرجع أمرهم إلينا وأنتم كفو انفسكم عنهم ، يفعل السلطان على أنفسهم ما شاء ويرضونه . وانتم غنيون على ذلك ، والسلام بأمره .

خادمه سليمان بن محمد بيده يوم ١٣شوال ١٢٦٢هـ

هذا مني كتبه سعيد بيده "١٨"

ويفسر هذا الخطاب مرونة حكام شرق إفريقيا الذين تعاقبوا عليها من العرب والشيرازيين وروح التسامح المذهبي الذي اتسموا به ، مما جعل الكلويين يعدلون عن مذهب التشيع إلى مذهب الشافعي على النحو الذي أشار إليه ابن بطوطة .

ومما يستحق الاهتمام من مذكرات ابن بطوطة عن سكان كلوة ماقاله من أن أغلب أهلها من الزنوج ذوي الشرطات على وجوههم ويلاحظ الآن اختفاء هذه الشرطات مما يدل على أثر الهجرات الإسلامية على الساحل أدى إلى نوع من التجانس العرقي وادى هذا بدوره لإندثار عادات وشمية بالاضافة لتشكيل تركيبة سكانية جديدة اعتنقت الإسلام وحسن تمسكها به والغالب في أهلها التقوى والصلاح وقد انعكس أثر ذلك على نظام الحكم عندهم والذي يتكون من السلطان ، والوزير والقاضي ، كما هو واضح فإن منصب الوزير مقتبس من الدولة العباسية ، وهناك مناصب أخرى إسلامية صميمة مثل المحتسب الذي تقع عليه مهمة مراقبة الموازين والمكاييل والأسواق والقيام بمعاقبة

المخالفين .

كما ينعكس نظام الحكم الإسلامي في أسلمة النظم الاقتصادية التي كانت سائدة .

• يقول ابن بطوطة :

سلطانها في عهد دخولي إليها ، ابوالمظفر الحسن وكان كثير الغزو إلى أرض الزنوج يغير عليهم فيأخذ الغنائم فيخرج خمسها فيصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى وكل الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواها ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة وهذا السلطان له تواضع شديد ويعظم أهل الدين » "١٩" .

وتعكس النقود النحاسية التي وجدت مصكوكا على جانبيها عبارات في عهد ملوك كلوة الروح الإسلامية فقد صكت على إحدى القطع النقدية التي يرجع عهدها إلى ذلك التاريخ عبارة إسلامية واضحة مثل " وتعاملوا بالإحسان " وعلي الجانب الآخر " نقد سليمان بن داود " "٢٠" وبالمثل تتجلى مظاهر أسلمة الحياة في سلطنة الزنج في كلوة في نظام الجيش عندهم فالجيش شقان ، شق جهادي متطوع وشق نظامي ، ويتكون الجهادي من العرب والفرس الذين يعتبرون من أهل الحمية للدين والحكم . أما النظامي فيتكون من الزنوج المسلمين بالإضافة إلى الشيرازيين ، ويتقاضى الأخيرون رواتب ، بينما يعتمد الشق الأول " الجهاديون " على الفيء والغنائم .

وكل الذي سقناه من نواحي أسلمة الحياة في سلطنة الزنج الإسلامية كان للاستدلال على عمق تغلغل الإسلام في تلك البلاد في القرون التي سبقت الفاصل البرتغالي في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر " ولم تكن كلوة وحدها في منطقة تنزانيا المعاصرة هي المنطقة التي تغلغل فيها الإسلام فقد كانت هنالك أيضا زنجبار وعلى الرغم من أنها لم تبلغ مبلغ كلوة في المنعة والقوة فإن بعض النصوص التاريخية تدلنا على أنها كانت على درجة من المهابة . فقد بلغت من القوة أن تخاطب أهل كلوة في عهد ازدهارها في شأن الحكم وولاية الأمر . وقد نقل لنا الشيخ محيي الدين الكلوي نص الخطاب الذي أرسله أعيان زنجبار إلى أعيان كلوة مخاطبين آياهم في شأن الحكم ويروى :-

لما سمع الحسن المعزول من ولاية كلوة بولاية فضل تجهزوا بالكلية لمحاربة كلوة فوصل إلى " مفم غب " وعند وصوله وصل سلطان زنجبار " كم على - كم ام على " من قبل أخيه صاحب زنجبار رسولا إلى فضل والأمير محمد كواب لطلب الصلح بينهم وبين الحسن المعزول ليرد الأمر إليه فوصل الرسول إلى كلوة وحضر بين يدى الفضل والأمير محمد وبلغ الرسالة التى من عند أخيه وفاوضهم من أجل الصلح بأن يردوا الأمر إلى الحسن المعزول فأجاب الأمير محمد كواب وكافة أهل كلوة أن هذا المتولى الآن بكلوة من أولاد الملوك وهذا المنازع من أولاد الوزراء فكيف نعزل هذا ونولى ذلك "٢١"

ويدل هذا النص على أن زنجبار كانت معمورة وآهلة بالسكان على أيام كلوة وكانت من القوة بحيث تستطيع مخاطبة القوى المجاورة لاسيما "كلوة" فى شأن الحكم . وعلى كل حال فإن الروايات التاريخية غير متفقة فى وصف زنجبار . فياقوت الحموى يصفها تحت اسمها السواحيلى " انقوجا" قائلا « هى جزيرة عظيمة بأرض الزنج » منها سرير ملك الزنج وإليها تقصد المراكب من جميع النواحى "٢٢"

واضح من وصف ياقوت لها بأن لها مقدرة كبيرة على التأثير فى الحياة السياسية فى كلوة وتدلنا على ذلك عظمة الآثار الإسلامية التى وجدت فمسجد كازى مكازى فى زنجبار وجد مكتوبا عليه تاريخ إنشائه ١١٠٧م / ٥٠٠هـ يعضد من عظمة زنجبار فى ذلك التاريخ .

وعلى النقيض فإن وصف الملاح أحمد بن ماجد لها بأن « زنجبار ممتدة على بر الزنج ذات أشجار وفاكهة وفيها أربعون خطبة" مسجدا "تحكم عليها سلاطين الإسلام " "٢٣" يجعلها تبدو صغيرة إذا ما قورنت بكلوة التى بها ٣٦٠ مسجدا فى ذلك التاريخ . وعلى الرغم من كل ذلك فإن زنجبار كانت قبل الفاصل البرتغالي إحدى المراكز الإسلامية الهامة في شرق إفريقيا ولم تكن كلوة وزنجبار هما المركزان الوحيدان فى شرق إفريقيا فى منطقة تنزانيا المعاصرة . فقد كان هنالك أثر للثقافة الإسلامية فى منطقتى دار السلام وبغمويو إذ تقول بعض الآداب الشفهية إن الماشومفى وهم

عناصر شيرازية من البنادير استوطنوا الساحل عند منطقة بغمويو مجاورين لقبائل الديبولي حيث وقعوا معهم اتفاقية دفاع ساهمت في نشر الإسلام بين قبائل الماشومفي المسلمة فساعدوهم في طردهم وأخذوا يدفعون لهم جزية سنوية في مقابل حمايتهم "٢٤" وتزيدنا آثار أمبويينى بين بغمويو ودار السلام يقينا بأن سكان هذه المنطقة قد أعتنقوا الإسلام مبكرا إذ يوجد في هذه المنطقة آثار عديدة مبنية في غاية الاتقان والهندسة من بينها قبر كتب عليه « هذا قبر دهومى مسعود بن سلطان شيق على بن سلطان شيق محمد البراوى ١٢٦هـ » كما يوجد قبر آخر عليه عبارة « هذا ضريح مى مدى بن حمد مى السيد محمد . كف جمعة تاتو ١٦٣هـ » وكلمة كف سواحيلية معناها " مات " وجمعة تاتو هو يوم الاثنين "٢٥" وتوجد الكثير من آثار القبور والمساجد في كولة "Kwla" جنوب بغمويو ويذكر لنا المغيرى أن من بينها قبرا كتب عليه " توفى على بن الحسن سنة ٥٥١هـ » وتدل هذه الآثار على أن الإسلام قد وصل منطقة دار السلام فيما قبل القرن العاشر الميلادي . وتشير بعض الروايات إلى الكيفية التى تم بها إسلام بعضهم . منها أن مجموعة من التجار العرب نزلت الساحل فى قرية كانوا يخشون من أهلها لما كان يشاع عنهم من أنهم من أكلة لحوم البشر فقابلهم السلطان وأمنهم على حياتهم فباعوا ما عندهم له بأسعار عالية ولكنهم قابلوا هذا الإحسان بنكران فخدعوه ومن معه من حاشية وأخذوهم إلى ظهر السفينة فأوثقوا عراهم وقادوهم على عهد العباسيين وباعوهم رقيقا فى سوق البصرة ، فأسلم وحسن إسلامه وحج بيت الله ثم ركب النيل إلى بلاده في ساحل تنزانيا . ومن غرائب الصدف التى ترويها هذه الرواية أن ذات التجار الذين باعوه بالبصرة طوحت بهم إحدى السفن إلى ذات المكان الذى أخذوه منه قبل أعوام فوجدوه قد أسلم ونشر الإسلام بين قبيلته فبدلا من أن يقتص منهم شكرهم على أنهم كانوا سببا فى إسلامه وهدايته .

مهما يكن من ضعف هذه الرواية لما ورد فيها من ذكر ركوب النيل وصعوبة ذلك فى القرون الأولى من ظهور الإسلام ، تدل على أن الإسلام وجد طريقه إلى الساحل مبكرا وتوطن فى منطقة دار السلام وبغمويو ، ومن هنا يتضح لنا أن الإسلام قد

أسس مراكز له فى كل من زنجبار ودار السلام تفهمت حقيقته نظريا وتطبيقها فى مجالات الحياة المختلفة وقد زودتها كلوة عاصمة سلطنة الزنج بالنظم التربوية والاقتصادية والإدارية الإسلامية فيما قبل القرن الخامس عشر الميلادى قبل تأريخ وفود الاستعمار البرتغالى على المنطقة .

لم تكن الحقبة التي قضاها البرتغاليون ١٥٠٠-١٧٠٠م فى المنطقة خالية من أى وجود للإسلام فعلى الرغم من أنهم أوقفوا دون شك نمو الثقافة الإسلامية فى شرق تنزانيا بإيقاعها السريع والمتأصل فإن الإسلام أخذ ينتشر إلى الداخل بعيدا عن سيطرة البرتغاليين إثر كل ثورة إسلامية على الساحل أو مدينة يدمرونها فيهجرها أهلها إلى الداخل القريب من الساحل ناقلين معهم الإسلام إلى القبائل الساحلية القريبة من الجزر والمدن الساحلية .

الثقافة الإسلامية فى العهد العمانى (اليعربى والبوسعيدى) .

أرخ سقوط قلعة المسيح فى ممبسا ١٦٩٨م لزوال البرتغاليين من شرق إفريقيا إلا أن الثورات المتعددة من المسلمين فى المنطقة أضعفت النفوذ البرتغالى منذ بداية القرن السابع عشر الميلادى فبدأت شعوب المنطقة فى الاتصال بالأئمة اليعربيين الذين كانوا يحكمون عمان "٢٧" بغية المناصرة وطرد البرتغاليين منذ عام ١٦٢٤م . وقد اكتمل تحرير أغلب أجزاء شرق إفريقيا ما عدا المنطقة حول شبه جزيرة ممبسا الكينية سنة ١٦٥٠م "٢٨" وبدأت الثقافة السواحيلية في النمو من جديد فى اتجاهاتها القديمة فى إطارها البانتوى الإسلامي الذى عملت الحقبة البرتغالية على تعطيله وإبطاء حركة بلورته .

لقد بدأ نجم البرتغاليين فى الأفول عن شرق إفريقيا منذ أن تمكن العمانيون من التغلب عليهم في مياه المحيط الهندي في منتصف القرن السابع عشر ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى بلغت هذه الأخبار أهالي شرق إفريقيا فكتبوا إلى العمانيين مذكرة فى طلب النجدة مهروها بتوقيعاتهم جاء فيها « إن البرتغاليين يظلمون

ويهتكون أعراض النساء» وقد وقع على هذه الوثيقة عدد من شيوخ ممبسا في ذلك الحين من بينهم الشيخ أحمد الجلندى والشيخ نموت بن موتورغو الكليندينى والشيخ موشال بن ندار التجانى والشيخ وريبى ودشونى والشيخ كامبة ووكامة . وعلى الرغم من أن هذه الوثيقة موجودة الآن بدار الوثائق بزنجبار "٢٩" فإن بعض من أطلع عليها وفحصها شك في إنها ترجع إلى التاريخ الذى وقعت به ١٠٤١هـ ويعتقد البروفيسور سيد حامد حريز أنها ربما كتبت في العهد البوسعيدى ، غير أن واقع وعي العمانيين المبكر والذى دعاهم لنصرة سكان شرق إفريقيا يحتمل أن تكون هذه الوثيقة قد كتبت في ذلك التاريخ ولكن بتوجيه من العمانيين فمظهرها قديم ولم يتم قياس لعمر الورق الذى كتبت عليه فكما قد يتوقع فقد كانت إحدى نتائج هذه المذكرة أن استجاب الإمام اليعربى سيف بن سلطان لدعوة أهالى الساحل في إطار مطاردته للأسطول البرتغالى في مياه المحيط الهندى فجرد عليهم حملة في زنجبار سنة ١٦٥٥م ونجد أهل ممبسا في سنة ١٦٦٠م واستمرت المعارك سجالا بين البرتغاليين في شرق إفريقيا في عهد الإمام سلطان بن سيف ت ١٦٦٨م وابنه يعرب بن سلطان (١٦٦٨-١٦٩٢م) أما التحرير النهائى لشرق إفريقيا فقد جاء على يد سيف بن سلطان بن سيف بعد سقوط قلعة ممبسا سنة ١٦٩٨م (وهو الملقب بقيد الأرض اليعربى) وعلى الرغم من أن محاولات البرتغاليين لم تنقطع طوال السنوات ١٦٩٩م ١٧٠٣م ، ١٧١٠ ، ١٧٢٨ فإن معركة عام ١٧٣٠ كانت هى خاتمة المعارك واستتب الأمر بعدها لليعربيين "٣٠" .

تمتد الفترة التى بدأت بتاريخ الصراع البرتغالى العمانى على شرق إفريقيا ١٦٥٠م وانتهت بنهاية الوجود العمانى في زنجبار ١٨٩٠م حوالى القرنين ونصف من الزمان يمكن أن نقسمها إلى حقبتين ، الأولى تبدأ ببداية الصراع ١٦٥٠م وتنتهى بتولى الامام أحمد بن سعد مقاليد الحكم في عمان سنة ١٧٤٤م "٣١" ويمكن أن نطلق على هذه الحقبة فترة حكم الأسرة اليعربية ، وتمتد الحقبة الثانية بين عامى ١٧٤٤م ، ١٩٠٠م وتسمى بالحقبة البوسعيدية نسبة للإمام أحمد بن سعيد . غير أنه من العسير أن نورخ لنهاية الحقبة اليعربية في شرق إفريقيا "بدقة " بتاريخ استيلاء الإمام أحمد على

السلطة فى عمان ١٧٤٤م ذلك لأنه عندما تولى اليعربيون زمام الأمر فى ساحل شرق إفريقيا عينوا عليه المزارعة وهى أسرة كبيرة « عمانية » محالفة لهم فى عمان وقد استنكف المزروعيون فيما بعد الخضوع والولاء للبوسعيديين وانفصلوا عنهم واستأثروا بحكم ممبسا ويروى لنا المغيرى قصة ولاية المزارعة قائلا :-

« لما ضعفت قوة اليعاربة بعمان وعجزوا عن مقابلة الممالك الإفريقية لقلة مدخراتهم وكثرة نفقاتها أرادوا من الوالى الأسبق ناصر بن عبد الله المزروعى أن يقبل ولاية إفريقيا مقابل أن يدفع لهم شيئا من المال فاعتذر لكبر سنه ولكن طلب أن يولى الأمر للشيخ محمد عثمان المزروعى ، وقد وصل الأخير إلى ممبسا ليكون واليا عليها وعلى متعلقاتها سنة ١١٦٣هـ "٣٢". »

ومما تقدم نهتدى إلى أن اليعربيين لم يكونوا بالفعل يباشرون حكم شرق إفريقيا ولم يتفقدوا أحوالها ، لقد أوهنتهم الحروب الكثيرة التى خاضوها وطول النزاع مع البرتغاليين والتفكك والصراعات الداخلية ، لذلك لم تكن الحقبة التى فرضوا فيها نفوذهم على شرق إفريقيا حافلة بالإنجازات الثقافية وعلى الرغم من كل ذلك فقد ساهم الدور الذى لعبه اليعربيون فى شرق إفريقيا فى تلك الفترة مساهمة فعالة فى إعادة البناء للمجتمع السواحيلى الذى عمل البرتغاليون على إيقاف إيقاع ثقافته من النمو فى إطارها واتجاهها القديم لذا فتعتبر نتائج جهود اليعربيين فى طرد فلول البرتغاليين من شرق إفريقيا إنجازا كبيرا فى حد ذاته ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أمد تجدد الهجرات العربية إلى المنطقة " شرق إفريقيا " السواحيلية الثقافة السواحيلية بدماء وأعراق وأسر عربية جديدة وبمفردات عربية صرفة وفى ذلك يقول ترمنقهام :-

« يعتبر تجدد الهجرة من الجزيرة العربية من الملامح المميزة لتلك الفترة التى أعقبت الحكم البرتغالى لاستيطان المحاربين العرب الذين استؤجروا كمرتزقة ؟ (كذا) فى مدن الساحل المهجورة كما وفدت إلى زنجبار عائلات عربية إفريقية ولقد كانت هجرة الحضرميين الشافعيين وليست هجرة العمانيين هى صاحبة الأثر الفاعل فى هذه الفترة السواحيلية وطبعها بالطابع الذى تحمله حتى اليوم » "٣٣" .

لقد هيأ الأمان والاستقرار الذى تسبب فيه التفوق العماني على البرتغاليين الطريق أمام هجرة العمانيين والحضرميين إلى زنجبار وقد أدت قوة تأثيرهم إلى سيادة العنصر العربى عامة واستسلام التقاليد الغربية الأخرى (البرتغالية) التى كانت سائدة قبل ذلك وإفساحها للمجال أمام التفاعل والاختلاط والتمازج بين الثقافة السواحيلية القديمة والثقافة العربية الإسلامية الجديدة .

أما الحقبة التاريخية العمانية الثانية فهى حقبة البوسعيديين وهى تبدأ من تاريخ . نهاية ولاية المزارعة على شرق إفريقيا ١٧٥٠م إلى تاريخ إحكام الالمان والانجليز سلطانهم على زنجبار ودار السلام ، حيث استطاع الإمام أن يجتث شأفة المزارعة سنة ١٧٥٢م بعد صراع طويل ويمكن تقسيم الفترة البوسعيدية نفسها الى حقبتين يفصل بينهما انتقال العاصمة من مسقط الى زنجبار فى عام ١٨٣٢ "٣٤" .

الفترة العمانية
١٦٥٠ - ١٩٠٠

الفترة اليعربية
١٦٥٠ - ١٧٤٤

الفترة البوسعيدية
١٧٤٤ - ١٩٠٠

فترة النزاع مع البرتغاليين
١٦٥٠ - ١٧٠٠

فترة المزارعة
١٧٠٠ - ١٧٥٢

قبل انتقال العاصمة الي زنجبار
١٧٥٠ - ١٨٣٢

بعد انتقال العاصمة الى زنجبار
١٨٣٢ - ١٩٠٠

تميزت الفترة البوسعيدية الأولى التي أمتدت حتى عام ١٨٣٢م باستقرار نسبى فى أوضاع الساحل السياسية ونتجت عن ذلك هجرات أسهمت فى بناء الثقافة السواحيلية

أما الفترة الثانية التى امتدت من انتقال العاصمة من مسقط إلى زنجبار إلى عهد السيطرة الغربية الحديثة على المنطقة فتعد وبحق العصر الذهبي للثقافة العربية الإسلامية فى شرق إفريقيا فقد اسهمت زنجبار " العاصمة العمانية الجديدة في جلب

جديد للعديد من الهجرات العربية والإفريقية وأضحت بوتقة انصهار حضاري لتصوغ كل معطيات الهجرات في قالب ثقافي واحد وتضفي عليه قدرا من الانسجام والتجانس والتكامل لتوجد كيفا مميزا ، فمن الناحية السياسية كان انتقال العاصمة إلى زنجبار عامل جذب للقبائل العربية التي تسعى للزعامة من أمثال قبيلة الحارث (الحرث) بمختلف بطونها من براونة وحناجرة وغيوث ومحارقة وسمرات ومراهبة ونوادى (أولاد نادى) ومطارقة وأهل سناو وأعاسرة وهؤلاء بالإضافة إلى إتخاذ الأسرة البوسعيدية المالكة وأصدقائهم من أولاد ظنين والمناذرة والمشاقصة وبنى ريام والمغيريين وبنى رواحة "٣٥" ولم يقتصر الأمر على العمانيين إذ هاجر إلى زنجبار العديد من اليمنيين الذين عملوا في الجيش والتجارة وصيد الأسماك لاسيما أهل شحر الذين هاجروا بقيادة أميرهم بعد أن فقدوا زمام الأمر في مدينتهم شحر بإعتبارهم دعاة للإسلام ومعلمين له وتقاطر عرب الساحل الشرقي الذين استقروا بمقديشو وبيت براوة ومجيئها إلى العاصمة زنجبار مركز الحضارة الإسلامية والمدن القريبة منها كجزيرة بمبا ودار السلام وعلى الرغم من وفاة السلطان سعيد سنة ١٨٥٦م وتقسيم السلطة بين ابنيه ماجد الذي استقر في زنجبار " وثويني " في مسقط فإن الهجرة إلى شرق إفريقيا « زنجبار العاصمة » لم تتوقف ولا سيما بعد رواج زراعة شجرة النارجيل والقرنفل في مساحات وأبعديات واسعة . فقد تدفقت الهجرة من داخل القارة ووسطها لاسيما من القبائل الإفريقية البانتوية للعمل بالزراعة في هذه الأبعديات فاعتنقوا الإسلام . وقد حملت هذه الظاهرة ظاهرة تدفق الأفارقة للساحل والجزر القريبة طلبا للعمل تفسيرات عديدة أهمها ما وصمه بها المؤرخون والعلماء الغربيون بأنها لتجارة الرقيق ويروى الشيخ عمر قلتين سنة ١٩٠٧م تفسيرا لهذه الظاهرة في مذكراته (غير المنشورة) : «إن العربي إذا جاس في هذه الإفريقية تلقاه أهل الرقيق بأبنائهم في طلب الركب إلى الساحل بقصد العمل في شوانب النارجيل وقد روى لي أخونا عبد الرحمن المسكرى أنه عندما امتنع عن أخذ الرقيق لقلة ركوبه باعوه العاج بثمن عظيم لأجل حمله على قبولهم»"٣٦" .

إذن فقد كانت أكثر تدفقات القبائل الإفريقية التي هاجرت إلى الساحل مما يعادل عليه بمصطلح اليوم " الاغتراب" بدوافع اقتصادية في طلب المال والعمل وقد كان لهذه الهجرة القدح المعلى في اعتناق الأفارقة للإسلام . لم تكن الهجرة متجهة من شبه الأنحاء إلى زنجبار وبقية جزر ومدن الساحل فقط، فقد كانت هناك هجرة معاكسة من زنجبار إلى المراكز التجارية في وسط إفريقيا ، يقوم بها العرب العمانيون اليمنيون وعمالهم من القبائل الإفريقية الذين عملوا معهم بالتجارة في العاج وغيره من واردات الداخل وعملوا معهم أدلاء فعاونوا هؤلاء التجار وقادوهم إلى قلب القارة سالكين بهم إلى هناك ثلاث طرق أصبحت معلومة المعالم مع مرور الأيام ممهدة للتجار والعمال وأصبحت بذلك أوردة تحمل منتجات الداخل إلى القلب في زنجبار والساحل وشرايين تحمل الإسلام إلى الأطراف البعيدة في وسط إفريقيا .

ويعتبر الطريق الجنوبي الأول تأريخيا حيث سلكه الفرنسيون ابتداء من القرن السابع عشر ويبدأ من كلوة ويسير في اتجاه الجنوب الغربي إلى بحيرة ملاوي مارا بمدينة نكوتاكوتا *Nkhota kota* " في ملاوي المعاصرة مخترقا قبائل الياو الملاوية . لقد سلك هذا الطريق كل التجار الذين استقروا بمدينة نكوتاكوتا وباشروا الدعوة لدين الله ويذكر لنا التاريخ منهم الشيخ سالم بن عبد الله ١٨٥٠ الذي استطاع أن يقنع زعيم الياو باعتناق الإسلام "٣٧" ويسعى في نشره بين الياو وما لبث أن ساد المنطقة وانتزع اعتراف الموسعيدين بسلطته وقد حافظ خلفاؤه من بعد على نمط الحياة الإسلامية الذي بدأه خليفته جومبي موينى مقوزو ١٨٧٠م الذي عرف بتقواه والنهوض بواجب تعليم الدين واللغة العربية لأبناء الياو وعلى الرغم من وفاته وتعيين الانجليز خليفة له لم يعرف بإخلاصه في رسالة سابقه فإن مدينة نكوتاكوتا استمرت ولعقود عديدة مصدر إشعاع إسلامي وسط قبائل الياو التي كانت تسكن على الجانب الشرقي لبحيرة ملاوي واتجهت في زحفها شمالا في اتجاه الشرق حتى أنه يوجد الآن حوالي نصف مليون من الياو المسلمين .

لقد أصبح الزعيم الياوي " متاكا " متعاطفا مع المسلمين محبا لهم منذ عام

١٦٨٠م كما أصبح الزعيم الياوي " ماكنجيلا " مسلما عاملا للإسلام ١٨٧٠م ويتولى متاكا الثالث زعامة القبيلة في ١٨٨٥م أصبح الإسلام هو العقيدة الغالبة بينهم "٣٨" .

ويرى جون قري " J . GRAY " أن السبب الغالب وراء قبول الياو عامة وأسرة الماكنجيلا والمتاكا للأسلام يكمن وراء تعلق الياو بتجارة الرقيق . بينما يعزى المؤرخ اوغسط نيمتز قبول الياو للإسلام إلى أن الإسلام أصبح عنصر تحديث في حياة الياو لما يجلب للمنطقة من تعليم للقراءة والكتابة مما يساعد في القضايا الإدارية "٣٩" . ويبدو أن هذا السبب وجيه لاسيما وقد دعم هذا الرأى قائلا " أصبح الإسلام يمثل عنصر مقاومة وطنية ضد التسلط والاستعمار الأوربى السبب الذى جعل المقاومة الإفريقية تعتنقه أملا في الخلاص "٤٠" . وقد ظهر هذا الأمر جليا في الثورات المتلاحقة في " تنجانيقا كثورة بشير بن سليم " وثورة ماجى ماجى ، أما رأي قري " Gray " القائل إن تعلق الياو بالإسلام مرده إلى تعلقهم بتجارة الرقيق فهذا يدعم رؤيتنا لتفسير الظاهرة التى وصفها بأنها تجارة رقيق . إذ لا يستقيم عقلا أن يتعلق الياو بمن يبيعون منهم ويشترون ، فتجارة الرقيق التي عرفناها في غرب إفريقيا كانت مطاردات للأفارقة بالسلاح الناري وتقييداً بالسلاسل وضرباً حتى الموت ولايعقل أن يتعلق الياو بالإسلام من أجل هذا إذن فقد كانت الظاهرة التى تعلق بها الياو هى فى حقيقتها هجرة طوعية من أجل العمل فى الساحل بمزارع النارجيل وهنالك معلومة أخرى مهمة فى هذا الموضوع هى أن تجارة الرقيق فى شرق إفريقيا "كانت فى أيدى الفرنسيين وقد هينوا على كثرة من أجل ذلك حاكما فرنسيا وقد احتجت بريطانيا على ذلك رسميا "٤١" .

أما الطريق الثانى الذى سلكه الإسلام إلى الداخل وسلكته العناصر الإفريقية إلى الساحل فهو الطريق الذى يمتد من زنجبار مارا بدار السلام وطابورا ثم يتفرع إلى الشمال إلى موانزا وإلى الغرب إلى أوجيجى وقد وجد المسلمون الحاجة ملحة لبناء مدن على طول هذا الطريق تعمل كمحطات استرخاء وتبادل تجارى وقد بنيت أكبر مدن هذا

الطريق طابورا " Tabora " في مركز ثقل قبيلة النياموزي ثاني كبريات القبائل التنزانية والتي عمل أفرادها كحمالين وأدلاء للقوافل العربية فتأثر أفرادها بالإسلام واعتنقوه دون دعوة .

لقد لاحظ المبشرون هذه الظاهرة فعبروا عنها قائلين " لم يكن المسلمون العرب والسواحليون يرغبون في نشر الإسلام فلم يكونوا يشجعون اعتناقه أو يخذلون عنه بل كانت معاملاتهم وسلوكهم بين النياموزي تغري هؤلاء باعتناق الإسلام. "٤٢" .

إن هذا التعليق من قبل المبشرين يعكس حيرتهم ودهشتهم فإن الجهد الذي يبذله المسلمون في الدعوة إلى الإسلام قليل إذا ماقورن بالجهد الذي يبذله المسيحيون لنشر دينهم فلدى المسيحيين إرساليات كنسية وإدارات متخصصة في نشر الدعوة الكنيسية ومعاهد للاهوت لتخريج الدعاة تقوم بإرسال الأطباء والأخصائيين البيطريين والزراعيين لأدغال إفريقيا لذلك فهو اتجاه غير طبيعي الا يهتم المجتمع المسلم بنشر دعوته ، وعلاوة على ذلك يمتاز الأباضيون الذين مارسوا التجارة على طول هذا الطريق بسلبية نابعة من نظرتهم المتشددة لشروط الإسلام فرغم سماحتهم كحكام لكنهم في الإطار الفردي يتسمون بتمسك ديني شديد وصارم فمرتكب الكبيرة عندهم غير مسلم مما يجعلهم غير متحمسين لدعوة غير المسلمين للإسلام إذ أن المسلمين في نظرهم أولى بالدعوة من غيرهم على حد قول إمام الإباضية الحالي في مسجد الاباضية الملوكي " الاستقامة " بزنجبار "٤٣" .

لقد كان هذا هو أحد الأسباب التي ساهمت في عدم دعوة التجار الإفريقين للإسلام ولكن الإسلام كان ولايزال ذا جاذبية خاصة للشعوب لاسيما الإفريقية منها فإنه يقدم منهجا للحياة لا يختلف عما عليه فطرتهم فزواج التعدد هو السائد على امتداد القارة الإفريقية وهذا مبدأ مجاز في الإسلام ممنوع في المسيحية ويمتاز الإسلام والمسلمون بتقدير خاص للأولياء وكبار السن وهو أمر مقدر في الديانات الإفريقية التي تقدر أرواح السلف وعلى كل فإن الكثير من الممارسات الإفريقية وجدت في الإسلام تفاسير جديدة وبقيت على ماهي عليه لم يصبها إلا قدر يسير من التحريف في إطار المعتقد .

لقد لعب التجار العرب دورا رائدا في التعريف بقيم الإسلام وفلسفته كما ساهمت القبائل الإفريقية التى اعتنقت الإسلام بعد اتصالها بالمسلمين فى انتشاره فالنياموزى قامت بنشر الإسلام على طول الطريق بين طابورا واوجيجى وبين طابورا وموانزا ، أصبح الإسلام معروفا فى مدينة اوجيجى منذ عام ١٨٣٠م حيث وصل إليها بعض التجار العرب والإفريقيين وأقاموا بها وأسسوا مراكز تجارية عملت على نقل إشعاع الإسلام والثقافة السواحيلية لمنطقة مانيما فى الحدود الشرقية لزائير "٤٤".

لقد برز فى أوجيجى فى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر الشيخ مورينى خيرى صاحب الأصل الشيرازى زعيما للمنطقة وقد أثمرت العلاقات الحميدة التى أقامها مع زعماء المنطقة فى نمو وانتشار الإسلام وبوصول الاستعمار الأوربى إلى هناك أصبحت اوجيجى مدينة إسلامية من الدرجة الاولى تعمل على أسلمة المنطقة من حولها.

كما لعب المانيميون القاطنون والمتنقلون بين أوجيجى واقليم مانيما دورا رائدا فى نقل الإسلام إلى شرق زائير تماما كذلك الدور الذى لعبه النياموزى فى نقل الإسلام بين مدينتى طابورا واوجيجى إذ كانوا يعملون مثلهم أدلاء وحمالين للقوافل الإسلامية المتجهة إلى زائير فأصبح إقليمهم والأقاليم الزائيرية المجاورة له تحت النفوذ الثقافى العربى السواحيلى .

لقد برز فى إقليم المانيما شرق الكنغو اسم لامع فى تاريخ العرب والمسلمين فى شرق ووسط إفريقيا هو حميد بن محمد المرجبى الملقب " تيبوتيب " الذى يرجع نسبه من جهة والده إلى الأسرة النبهانية فى مسقط بعمان أما أمه فمن المولدين المريما فى ساحل شرق إفريقيا وقد ولدَ حوالى عام ١٨٣٠م "٤٥" .

بدأ رحلته الأولى وهو فى الثانية عشر من عمره بحثا عن والده الذى هاجر إلى اوجيجى وفى اوجيجى حمّله والده بالكثير من العاج ومنتجات وسط إفريقيا إلى الساحل وكانت هذه الهجرة ذات تجربة ثرة أعانته فى رحلته الثانية التى قام بها بتشجيع من الحاكم رغبة فى إبعاده سياسيا قد قام بها عام ١٨٦٢م وهو فى حوالى

الثانية والثلاثين من عمره وقد كان السلطان آنذاك الإمام محمد ماجد بن سعيد الذي رغب في استثمار شخصية تيبوتيب البارزة في مد نفوذه داخل القارة الإفريقية فزوده بما ينقصه من مال وسلاح لتنفيذ الرحلة فارتحل إلى اوجيجي ومنها إلى شرق حوض نهر الكنغو ثم عاد إلى زنجبار بالربح والتجارة لكي يستأنف رحلاته عام ١٨٦٩ ويتوغل هذه المرة إلى حوض نهر الكنغو ويؤسس المحطات على "اللولابا" وأفرع الكنغو الأخرى "٤٦" حتى وصل منطقة الشلالات وفي هذه المرة تعرف على المستكشفين الأوربيين " كاميرون ، ليفنجستون ، ستانلى وساعدهم في سبر أغوار إفريقيا إلا أنهم نقلوا إلى الملك البلجيكي ليوبولد أهمية منطقة الكنغو ليقيم عليها دولة الكنغو الحرة لتخوض معارك حامية الوطيس انتصر تيبوتيب في أولها ولكنه تراجع تحت نيران السلاح الأوربي الفتاك والضغوط السياسية فرحل حول عام ١٨٩٠ إلى زنجبار مخلفا ابنه "سيفو" على دولته وقد انهزم سيفو بن تيبوتيب في آخر موقعه له عام ١٨٩٤م أما أبوه فقد تعرض للعديد من المحاكم التي عملت تحت النفوذ الأوربي في زنجبار حتى توفي عام ١٩٠٦ فقيرا معدما .

لقد خلفت الجهود التي بذلها حميد بن محمد المرجبي في الكنغو العديد من الآثار الإسلامية أولها انتشار اللغتين العربية والسواحيلية بالإضافة الى أن أغلب الوطنيين من سكان الكنغو اعتنقوا الإسلام ومارسوا شعائره واحتفلوا بأعياده ولبسوا الملابس بدلا من العرى "٤٧"

لقد كان للنظام التعليمي الذي ابتدعه المرجبي " تيبوتيب " أثر في الثقافة العربية الإسلامية وتمكينها فقد ابتدع نظامين من التعليم النظرى والحرفي كل منهما يكمل بعضه بعضا فقد ازدحمت قرى مناطق النفوذ العربي في الكنغو بالمدارس القرآنية التي تعلم اللغة العربية وتحفيظ القرآن والكتابة بجانب تعليم الحرف والصناعات اليدوية كالبناء وصناعة الطوب والتجارة وصناعة السلاح والمصنوعات الحديدية وابتعثوا أبناء العرب وأبناء الزعماء الأفارقة إلى زنجبار لتكميل تعليمهم والعودة في ذات المدارس التي تخرجوا فيها "٤٨" .

وهكذا وجد الإسلام طريقه - إلى وسط القارة وكان لذلك رد فعل إيجابي على الساحل فقد جذبت الثورة التي احدثتها شجرة القرنفل العديد من العمال الأفارقة ليعملوا في مزارع النارجيل كما سبقت الإشارة إلى ذلك وحدث نوع من الإنصهار الحضاري وفي هذا السياق يمكن القول إن الفترة العمانية التي أعقبت الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا أسهمت إسهامات جوهرية في صياغة الثقافة السواحيلية بل تكاد تكون هي الفترة المسئولة عن تأطير الثقافة السواحيلية فقد وقفنا على انجازات العهد اليعربي في هذا المجال فرأينا كيف قاموا بتخليص المنطقة السواحيلية من محاولات البرتغاليين لإيقاف تطور الثقافة السواحيلية في اتجاهها البانتوي الإسلامي ، أما الانجاز الذى قدمته الفترة العربية فهو مد المنطقة بدماء عربية جديدة عملت على تعليم الإسلام للوطنيين .

أما العهد البوسعيدى فيعتبر العصر الذهبي للوجود العربي والإسلامي في شرق إفريقيا حيث تدفقت الهجرات العربية من عمان لاسيما من قبل الأسر الحاكمة والصديقة بالإضافة إلى هجرات الحضارمة فساهمت هذه الفترة في فتح حدود الإمكان أمام الثقافة السواحيلية إلى الداخل .

لقد أصبحت الثقافة الإسلامية وطيدة الأقدام راسخة ذات دفع ذاتي داخلي في بداية القرن العشرين اتضح من خلال الاستمرار في الانتشار رغم الجهود الاستعمارية لكبح جماح انتشار الإسلام .

الهوامش

(1) Zoc March ; East Africa , op. cit . p. 5

(٢) ابن هشام، عبد الملك " السيرة النبوية ، : بيروت ، دار الجيل ١٩٧٢) الجزء الاول ص ٣٤٤
وانظر ايضا القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، (القاهرة
المؤسسة المصرية العامة) الجزء السادس .

(٣) ابن الاثير علي بن احمد ، الكامل في التاريخ ، (بيروت دار صادر ، الجزء الرابع ص ٢٠٤ .

(٤) الطبري " محمد بن جرير ، تاريخ الامم (الرسل) والملوك : (القاهرة دار المعارف ١٩٦٢) ،
الجزء السادس ص ١٦ .

(2) Uichens , William , " Akhbar Lamu : Achronicle of Lamu " Bantu Sudies VOLXLL March 1.930 . p. 125

(٦) الورقلاني ابوزكريا يحي بن ابي بكر – " السير وأخبار الأئمة في طبقات الأباضية (مخطوط
بدار الكتاب المصري رقم ٩٢٠ ، ص ٤٠ .

(٧) الشيخ محيي الدين الكلوى ، السلوة في أخبار كلوا ، مصدر سابق ٥٢ .

(٨) الحويري محمود محمد ، مصدر سابق ص ٢٢ .

(٩) يردد هذه الرواية الشيوخ الذين تأثروا بالثورة الإيرانية من بينهم الشيخ محمد علي الذي قضى
أربع سنوات بإيران كما يرويها بعض شيوخ الطرق الصوفية من بينهم الشيخ عمر بن
علي بن عمر القلتيني الراوي القادري زنجبار يوم ١٩/٧/١٩٨٧م .

(10) Ingram's W.H. Zanzibar and Its Peaple ; W.K. London , Horst and blakelt , 1930 p.75.

(١١) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج٦ : صفحات ٦٩ ، ٧١ ، ١٧٥ ، ٢٩٩

(١٢) الشيخ محيي الدين مصدر سابق صفحات ٤٠، ٤١ .

(١٣) المغيري : مصدر سابق صفحة ٤٠ .

(14) Gray , John , History Of Zanzibar From the Middle Ages to 1856 (Oxford University Press 1962)-P.P. 11, 12 .

(15)El-Shib Muhideen , Al Salwa Fi AkBar Kilwa , Kilwa Cornicle , (Atrabs Cript , Translated by S.A. Strong , (g.v.) London 1937 . p. 39

(١٦) ابن بطوطة :تحفة النظار ، مرجع سابق ص ٢٠٠

(١٧) المغيري : جهينة الاخبار ، مرجع سابق ، ص ٤٨

(١٨) الشيخ محي الدين ، السلوة ، مرجع سابق ص ٥٢

(١٩) ابن بطوطة : تحفة النظار ، مرجع سابق ، ص ٢٠١

(٢٠) السر العراقي ، ساحل شرق إفريقيا في العصور الوسطى ، مجلة دراسات إفريقية (المركز الإسلامي الافريقي بالخرطوم العدد الثاني ١٩٨٦) ص ٨٤ .

(٢١) المغيري : جهينة الاخبار ، مرجع سابق ص ٦٢

(٢٢) ياقوت الحموي " شهاب الدين أبوعبدالله " معجم البلدان ، الجزء الخامس ، (بيروت دار الكتاب ١٩٨٤) ص ٢٢ .

(٢٣) ابن ماجد شهاب الدين احمد بن ماجد ، في أصول البحر والقواعد (باريسأيرش ١٩٢١م) الجزء الأول ص ١٤

(24) Abdalla Habari Za Wakilindi , (East African Literature - Bureau ,) 1952 . p . 13 .

(٢٥) إنني مدين بزيارتي لهذه المقابر للشيخ صالح بن عبد الله اسحاق الذي صاحبني إليها في ابريل ١٩٩٠.

(٢٦) المغيري ، جهينة الأخبار ، مرجع سابق ، ص ٦٣ ، أنظر ايضا

Shaaban Robert , Maisha Yongu ,(London , Nelson , 1949) p43.

(27) Z.A. Add. M. S. 8950 . Capt Thomas See To Bombay , Mamne April . 1711 .

(28) Z.A. Add. M. S. 20.903 . 1248 . 12. 1694 .

(29) Z.A. A/CB. 12,218 Letter Of Mombasa people dated 1041 .

كتاب اهل ممبسا في طلب النجدة من امام عمان .

(30) Owen , W . E. W : Narative Of Voyages to Explore the Shores of East Africa , Arabia , and Madagascar .(London Richard , Bentley 1833) . p. 2429

يتناول الكاتب هذا الكتاب هذا الموضوع من وثيقة يقول إنه حصل عليها من ممبسا ويقدم لترجمتها قائلا : (الرواية القادمة مترجمة عن مخطوطة عربية وبالطبع هي الوحيدة الآن بحوزتنا)

(٣١) ابن زريق احمد بن نجيب (ت ١٨٥٧) الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر وآخرين (القاهرة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧) ص ٧٩ .

(٣٢) السالمي : ابو محمد بن حميد بن سلوم « تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان » تأليف ١٣٣١، (القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٣٢،) الجزء الاول ص ١٧٩

(٣٣) ترمنقهام : الاسلام في شرق إفريقيا ، مصدر سابق ص ٢٠

(34) Peace Memorial Museum , Zanzibar MMZ Ndagoni Chronical (Written on 12 Ahaaban 1267 Corresponding to July 13 , 1851 (Set outtreaty between Seyyid Said and Ngwachani (1821) .

(٣٥) المغيري : جهينة الأخبار ، مصدر سابق ص ١٩

(٣٦) الشيخ عمر قلتين :(رسالة الى اخواننا وأحبابنا في داخلية البر) مخطوط في يد حفيده

الشيخ عمر بن علي بن عمر فلفين ساكن زنجبار ، اطلعنا في زيارتنا لمنزله ٢/يوليو ١٩٨٧م.

(37) George Shepperson " The Jumbe of Kota and some aspects of the Ulstory of islam in British Center Africa " in M.lewis , ed, islam in Tropical Africa : Studies presented and Discussed at the Fifth international Africa Seminar , Ahmadu Bello University , Zaria , January) 1964 (london : Oxford U.P. 1966) pp. 193.207 .

(38) Motro bin Mweny . Batari " Safari Yangu ya Udoe hatta Uzlqua nakhamari Za Wadoe no mila xao " in gari Vlten , ed Safari Za Wasuaheli (Gottingen 1910 p.145.

(39) August II Nimtz,Irmir Is lam and Poltices in East Africa (University Minnesot . 1980 . p 7.

(40) Ibid . P . 8 .

(41) Freeman - grenville , The French at Kilwa Island in Eighteenth Cantray East Africa History (Oxford) 1962) p.70 .

(42) NAT . G 9/48 disticts Survey , Allgemeine Bewungen : Islam Band .

(٤٣) مقابلة مع الشيخ حمود بن سعيد البحري إمام مسجد الاستقامة الاباضية " السلطان السابق " بزنجبار ١٧/٩/١٩٩١م وقد أهدانا كتابين هما دراسات إسلامية في الأصول الأباضية تأليف بكير بن سعيد الطبعة الثالثة (المطابع العالمية سلطنة عمان بدون تاريخ) وغرس الصواب في قلوب الاحباب ، (المطابع العالمية بسلطنة عمان بدون تاريخ) وهي مجموعة فتاوي لسماحة مفتي الاباضية بعمان (غير مذكور الاسم ولا تاريخ طباعة الكتاب) .

(44) NAT . G/9/48 Kaiserlicheo Ujlj August 30.1912 to Dar . es Salaam . Allgemine Religiose Bewungen : Islam Band 1 .

(٤٥) الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر الملكي ساكن زنجبار " حميد بن محمد المرجبي فاتح الكنغو " مجلة الهلال يوليو ١٩٠٦ الموافق جمادي الال ١٣٢٤ هـ ص ١١ .

(٤٦) مخطوط رقم ١٤٨٨ دار الكتب والوثائق القومية القاهرة - سجل المكاتبات السياسية للسلطان برغش سلطان زنجبار .

(٤٧) تواقيع رزق مرقس رزق [حميد بن محمد المرجبي (تيبوتيب) الوجود العربي في الكنغو] رسالة ماجستير ١٩٧٥ معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ص ٧٢ .

(48) Tippu Tip , Maisha Ya Hemed Bin Muhammed El Murjebi Yaani Tip (swahili Text with English translation by Whiteley) (East Affrica Literature Bureau , 1966) P. 32 .

(٤٩) المغيري:جهينة الأخبار ، مصدر سابق ص ١٩٠ .

(50) Z.A.; Ac/B159 Strayer to Berkely a mission Report . Also See Ac/B 152 From

Birth to the Same / Also see Kiongosi (New Spaper) Tang 1910 . 3
(51) T.G.P. / Africa Census Report 1957 (1963) .

(٥٢) ترمنفهام ، الاسلام فى شرق إفريقيا ، مرجع سابق ، صفحات ٦٥ ، ٦٦ .

(53) Nimtz. Opcit P . 15 .